تمهيد

يعلمنا الإسلام الأمانة العلمية فى الحكم على الآخرين.. بل وفى الموازنة بين المسلمين وهؤلاء الآخرين..

فخيرية الأمة الإسلامية لا تعرف الإطلاق والتعميم، وإنما هى مشروطة بشروط، يدخل فى إطارها كل من حصَّل هذه الشروط، وتحلى بصفاتها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والاعتناق النظرى للإسلام، دون العمل بأركانه وفرائضه ومبادئه، لا يحقق الخيرية لمعتنقيه على الآخرين ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ [النساء: ١٢٣].

وحتى فى داخل الأمة الواحدة للدين الواحد، يدعونا الإسلام إلى عدم التعميم والإطلاق.. فأهل الكتاب من اليهود ليسوا سواء، ولا هم كتلة واحدة صماء، فمنهم من أثنى عليه القرآن، فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ

وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران: ١١٣- ١١٥] .

ومنهم الملاعين الْمَلْعُونُونَ ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

[المائدة: ٧٨، ٧٩].

وكذلك الحال مع نصارى أهل الكتاب.. فهم ليسوا سواء.. فمنهم من هم أقرب الملل مودة للمسلمين.. ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) ﴾ [المائدة ٨٢، ٨٣]. ومنهم الذين بلغ بهم الغلو حد الكفر والشرك ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة : ٧٢، ٧٣].

تلك هى أخلاقيات الأمانة العلمية التى يعلمنا إياها القرآن الكريم فى التقويم والحكم على الآخرين.. أن نحذر التعميم والإطلاق..

وإذا كان العرب والمسلمون يتألمون كثيرًا من الاستشراق، الذى تحوّل إلى طلائع درست تراث الشرق، وخصائص العقل العربى والمسلم، لتُعين موجات الغزو الاستعمارى الغربى على التعامل مع أمتنا إبان الاجتياح الإمبريالى لبلادنا فى العصر الحديث.. فإن الأمانة العلمية التى يعلمنا إياها الإسلام تدعونا ـ رغم المرارة التى يشعر بها الكثيرون إزاء الكثير من الكتابات الاستشراقية - إلى عدم الإطلاق والتعميم فى الحكم على مجمل الاستشراق وعامة المستشرقين..

وإذا كانت الصور السلبية للاستشراق كثيرة الشيوع والانتشار فى ثقافتنا المعاصرة.. فإن الأمانة العلمية تدعونا إلى أن نقدم للقارئ العربى والمسلم نماذج من الوجه المشرق للاستشراق..

وتلك هى المهمة التى تقدمها الصفحات التى نقدم بين يديها.. ففيها سيرى القارئ:

١- دراسة عن المستشرقة الألمانية « أنّـا مارى شيمل ».. التى بلغت القمة فى الإنصاف للشرق وقضاياه.. والحب المتصوف لتراث الإسلام والمسلمين..

٢- ونقد هذه الأستاذة العظيمة للظلم الفكرى الذى أوقعته الثقافة الغربية بثقافتنا الإسلامية.. والذى قدمته من خلال حوار أجرى معها..

٣- ونموذجًا من كتابات هذه الأستاذة العظيمة عن التصوف الإسلامى..

وهى دراسات ترجمها عن الألمانية الباحث المصرى ـ الذى يعيش فى « زيورخ » بسويسرا ـ الأستاذ ثابت عيد.. والذى لم تقف جهوده عند الترجمة، وإنما أثرى هذه الإسهامات الفكرية بالتعليقات التى أفصحت عن ثقافة واسعة وخبرة فى التعامل مع المصادر، الأمر الذى خدم هذه النصوص خدمة عظمى..

إنها صفحات من الإنصاف الغربى للشرق.. ووجه مشرق للاستشراق.. نقدمه للقارئ العربى والمسلم؛ وفاء بالأمانة العلمية التى يعلمنا إياها إسلامنا عندما ننظر إلى الآخرين.. أو نتناولهم بالدرس والتقويم.. إنها تحية واجبة لعالمة جليلة، ذات قلب نورانى كبير !..

والله من وراء القصد.. منه نستمد العون والتوفيق.

دكتور محمد عمارة